



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة العلمية

- كتاب الدكتور إبراهيم الحيدري*: الثابت والمتحوّل في الشخصية العراقية –
دراسة للتغيرات البنيويّة التي حدثت في العراق حتى عام 2003
الناشر : دار ومكتبة عدنان، بغداد 2017، 256 صفحة



المُقدِّمة

إنّ المجتمع العراقيّ مجتمعٌ فسيفسائيّ، متعدّد المكونات الاجتماعيّة والهويّات الفرعيّة، ومتنوّع الأديان والطوائف والقبائل واللّغات، ومُختلف في العادات والتقاليد والأعراف، وقد عانى على مرّ التاريخ والعصور، الكثير من التسلّط والظلم والاضطهاد، الأمر الذي جعل الشخصية العراقية في مدّ وجزرٍ وتغيّرٍ وتذبذبٍ ومن أجل ذلك يصعب الحديث عن السمات الثابتة للشخصية العراقية في جميع المراحل التاريخيّة. وعلى الرّغم من ذلك توجد خصائص وسمات أنثروبولوجيّة واجتماعيّة ونفسية، تكون قاسماً مشتركاً بين أكثر العراقيين، تجمع الأنثا والنحن في وحدة تكاملية. وإذا لم تكن هذه السمات قُطعيّة ونهائيّة، لا يمنعنا ذلك من تعميمها على أكثرية أفراد المجتمع العراقيّ.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة العلمية

ومن طريق دراستنا للتحوّلات البنيويّة وتغيّراتها، التي حدثت في العقود الأخيرة لاحظنا أنّ الشخصية العراقيّة كانت قد تغيّرت في خصائصها وسماتها الثابتة، وأنّ النظام السياسيّ الشموليّ كان له دورٌ رئيسيّ في هذا التغيير، وأنّ ما حلّ بالعراق من مِحَنٍ وويلاتٍ ومأسٍ، جعل الشخصية العراقيّة منقسمة على ذاتها، بين التسلّط والخضوع، الذي سنحاول بحثه في هذا الكتاب.

كان موضوع الكتاب الأول من مشروع "الشخصيّة العراقيّة" هو البحث عن الهويّة، الذي صدر عن دار التنوير في بيروت 2013، لدراسة البنى الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة في العراق، في سياقاتها التاريخيّة، ودراسة التكوينات الاجتماعيّة المختلفة والهويّات الفرعية المتعدّدة؛ من أجل إعادة بناء الهويّة الوطنيّة، لا على أساس اجترار الماضي، وإنّما الحرص على استشراق المستقبل، وبناء شخصيّة وطنيّة متوازنة ومنفتحة على الذات وعلى الآخر.

لقد حدّدنا هذا الكتاب لدراسة خصائص الشخصية العراقيّة وسماتها، والتحوّلات البنيويّة التي حدثت لها حتّى عام 2003.

وأما الكتاب الثالث فهو دراسة سوسيولوجيّة للتشوّهات التي حدثت للشخصيّة العراقيّة بعد سقوط النظام السابق عام 2003، وهي المرحلة الانتقاليّة المعقّدة التي أعقبت الغزو والاحتلال وما أنتجه من الفوضى والدمار وتفكّك الدولة ومؤسّساتها، واستفحال ثقافة العنف والإرهاب، وانقسام المجتمع على هويّات فرعيّة متصارعة، وقد ساعدَ هذا على تنامي دور القبيلة والطائفة والمنطقة، وترسيخ المحاصصة الطائفيّة، التي شوّهت جميع البنى الاجتماعيّة والسيكولوجيّة، وحلّلت القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة وساعدت على استشراء الفساد، وهذا ما أنتج تشوّهات عميقة في الشخصية العراقيّة زاد في تخلفها وعجزها وانقسامها على ذاتها.

أما الفصل الأول من هذا الكتاب؛ فيتضمّن إشكاليّة الثقافة، وعلاقتها الجدليّة بالشخصيّة؛ لأهميتها الاستثنائيّة في هذه الظروف المعقّدة، التي يمرّ بها العراق بعد الرّدة الحضاريّة، التي تعرّض لها في العقود الأخيرة، محاولين شرح مفهومات الثقافة وتعريفاتها المتعدّدة، ودور سياق التنقيف في التنشئة الاجتماعيّة، وتأثيرها في بنية الشخصية، إلى جنب ما تلعبه الثقافة من دور مهمّ في تشكيل الذهنيّة،



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة العلمية

ومنظومة القيم والمعايير وقواعد السلوك والعمل والتفكير، وتأثيرها على الناحية المزاجية. وإذا كانت الثقافة تمثل الوجه الآخر للمجتمع، فتأثير المجتمع على الثقافة لا يقل أهمية. فالشخصية لا تنمو ولا تتطور إلا من طريق الحياة الاجتماعية، بوصف الإنسان كائنًا اجتماعيًا، يتأثر في الظروف الاجتماعية المختلفة ويؤثر فيها.

ونطرح في البحث العلاقة بين الثقافة والسلطة، وإشكالية المثقف، التي لا تنفصل عن إشكالية الثقافة السائدة. ففي المجتمعات الشمولية يعترض المثقف غياب الحرية والديمقراطية، واستبداد النظم الشمولية وما ينتج عنها من ثقافة قمعية.

وتتضح العلاقة بين الثقافة والسلطة في دور الأيديولوجيا في توجيه العلاقات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، حيث وجهت سياسة النظام السابق الثقافة لمبادئ حزب البعث وعسكرة المجتمع، وتحويل المثقف إلى أيديولوجي السلطة، ولم يعد المواطن سوى ذاكرة حربية لا غير.

وأما في موضوع الشخصية؛ فقدّنا تعريفات عديدة لمفهوم الشخصية، مركزين في أحدث النظريات الاجتماعية والنفسية المعاصرة، مثل: نظرية فرويد وأدورنو وأريش فروم وغيرهم. وتحدّثنا على العلاقة الجدلية بين الوراثة والمحيط، وتأثيرهما على شخصية الإنسان، وعن أهمّ الدراسات والبحوث التي درست الشخصية العراقية والعربية، ولاسيما دراسات عليّ الوردّي، وجمال حمدان.

ويتضمّن الفصل الثاني المحور الرئيس للكتاب، وهو دراسة الشخصية العراقية، ومعرفة سماتها وخصائصها الثابتة والمتغيرة، فضلا عن تحديدها من طريق دراستنا للشخصية الريفية والحضرية والوطنية والقومية؛ للوصول إلى نموذج للشخصية العراقية المجتمعية يحظى بالقبول والشمولية.

وقمنا بدراسة مقومات الشخصية العراقية وعناصرها المادية والمعنوية، ومنابعها التاريخية؛ لنصل إلى تحديد ثوابت الشخصية العراقية، التي من سماتها أنّها شخصية حيّة وحضرية بناءة، وانفعالية مسالمة بطبيعتها، ولها قدرة على الصبر، وقدرة عالية على التكيف مع الظروف.

إنّ مفتاح الشخصية هو فهم العقلية (الذهنية)، ومعرفة خصائصها العامة والخاصة. وإنّ من أهمّ ما يميّز "العقلية العراقية" أنّها منقسمة على ذاتها، واحدة متسلطة قمعية وأخرى خاضعة نكوصية، وهي



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة العلمية

أيضاً ذات نزعة تغالبيّة وعقليّة وماضويّة وجداليّة وانفعاليّة ومزاجيّة ومغترية. وباختصار هي عقليّة منقسمة على ذاتها تعوزها الفردانيّة والاستقلاليّة الذاتية والتحرّر.

وقد حاولنا تحليل هذه الخصائص، والسّمات، بشيء من التفصيل، مع الاهتمام بأهميّة دور النظام الأبويّ - البطريركيّ - في تشكيل هذه العقليّة المنقسمة على ذاتها. وتحدّثنا على مفهوم الشخصية المتسلّطة كما جاء عند أدرنو، وعلى مفهومي الساديّة والمازوشية كما عند أريش فروم.

وتضمّن الفصل الثالث المتغيّرات البنيويّة التي طرأت على الشخصية العراقيّة، حيث كانت حتّى منتصف السبعينيّات من القرن الماضي في طريق تكاملها، من حيث الاستقرار والثبات والتوازن بين مكوناتها وعناصرها؛ بسبب التحديث والتقدّم الاجتماعيّ النسبيّ، الذي واكب تطوّر الطبقة الوسطى في العراق. وقد دعم بحثنا وعزّز رأينا الاستبيان الذي قمنا به عن الثابت والمتغيّر في الشخصية العراقيّة، والتغيّرات البنيويّة التي شوّهت الشخصية العراقيّة في العقود الأخيرة. وركّزنا في آثار الحروب الوخيمة وما سببته من جروح سيكولوجيّة عميقة، فضلاً عن الحصار الذي كسر هيبة الدولة، وشوّه شخصيّة الفرد العراقيّ، وهياً لاحتلاله وإذلاله.

إنّ هدفنا من هذه الدراسة هو إكمال ما بدأه أستاذنا عليّ الوردّي، لدراسة الشخصية العراقيّة، الذي توقّف في كتاباته حتّى ثورة 14 تموز 1958. إذ لم يستطع التكلّم على التغيّرات البنيويّة السلبية التي حدثت في العقود الأخيرة؛ لأسباب سياسيّة قاهرة.

جدول المحتويات

الفصل الأوّل: الثقافة والشخصيّة

أولاً: إشكاليّة الثقافة: الثقافة والحضارة والمدنيّة، النمط الثقافيّ والقيم الاجتماعيّة.

ثانياً: العلاقة الجدليّة بين الثقافة والشخصيّة: تأثير الثقافة في الفرد والمجتمع والشخصيّة.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة العلمية

ثالثا: نظريات الشخصية: مفهوم الشخصية، سمات الشخصية، الشخصية بين الوراثة والمحيط، وخصائص الشخصية العربية.

الفصل الثاني: خصائص وسمات الشخصية العراقية:

أولاً: الخصائص والسمات الأنثروبولوجية والاجتماعية والنفسية.

ثانياً: مكونات الشخصية العراقية وعناصرها.

ثالثاً: ثوابت الشخصية العراقية.

رابعاً: خصائص العقلية (الذهنية) العراقية: عقلية ذات بنية منقسمة على ذاتها، إلى واحدة متسلطة

قائمة، وأخرى نكوصية خاضعة، من خصائصها: تغالبية وجدالية ومزاجية ومغترية.

الفصل الثالث: المتغيرات التي طرأت على الشخصية العراقية:

أولاً: استبيان حول الثابت والمتغير في الشخصية العراقية قبل عام 2003.

ثانياً: مشروع الهيمنة، وعسكرة المجتمع.

ثالثاً: في سوسيولوجيا الحرب والحصار.

رابعاً: آثار الحروب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

خامساً: الحصار، كسر هيبة الدولة، ومزق الهوية الوطنية، وشوه شخصية الفرد العراقي، وهياً

لاحتلال العراق وإذلاله.

خلاصة

المصادر والمراجع العربية والاجنبية



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة العلمية



تصوير د. بارق شُيّر، لندن في 2018/5/27

(*) يعد الدكتور ابراهيم الحيدري من ابرز المفكرين السوسيوولوجيين العراقيين المعاصرين وهو واحد من اقدم طلاب استاذ علم الاجتماع الراحل البرفسور علي الوردى، حيث درس علم الاجتماع في كلية الاداب في جامعة بغداد في بداية ستينيات القرن الماضي وحصل على شهادة البكلوريوس وثم سافر الى المانيا (الغربية سابقا) ليدرس في جامعة فرنكفورت وجامعة برلين الحرة ويحصل على شهادة الدكتوراه. عمل كأستاذ جامعي في العراق وفي الجزائر. له العديد من الكتب والدراسات والمقالات واهمها تراجيديا كربلاء والنقد بين الحداثة وما بعد الحداثة

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح باعادة النشر بشرط الاشارة الى المصدر. 31

آيار 2018

<http://iraqieconomists.net/ar/>